Received: 11 / 2 / 2024 Accepted: 8 / 8 / 2024 Published: 10 / 10 / 2024

مظاهر الحزن عند اليهود في ضوء نصوص العهد القديم

م. د. مهدي ناهي مطير العقيلي

mhdyastadh39@Gmail.com
وزارة التربية ، مديرية تربية الرصافة الثانية

الملخص :

لم يكن المجتمع اليهودي مجتمعا غريبا في عاداته وتقاليده وطقوسه عن بقية شعوب ومجتمعات الشرق الادنى القديم فقد عاش اليهود بين هذه المجتمعات وتأثروا بعاداتها وتقاليدها وخصوصا المجتمعات ذات الحضارة الاصيلة مثل المجتمع العراقي والمصري القديمين ، فاليهود قد مارسوا طقوسا وممارسات خاصة لإظهار حزنهم وعزائهم وحدادهم عند فقد شخص عزيز او عند وقوع كارثة او مصيبة عليهم من خلال لبس السواد او قص الشعور او حث التراب على الرؤوس وهذا نجده مدونا عندما نتتبع نصوص العهد القديم , ولم يكتف العهد القديم بتدوين تلك الممارسات وتوثيقها بل انه اعطى تعليلا وسببا لتلك المصائب والكوارث التي حلت بالمجتمع اليهودي الا وهو ما اقترفه اليهود انفسهم من ذنوب من خلال الابتعاد عن عبادة الرب واشتراكهم في مؤامرات ضد دول وشعوب هي اقوى منهم من دون ان يكون لليهود مصلحة في تلك المؤامرات او القدرة على مواجهة عواقبها .

الكلمات المفتاحية : اليهود , العهد القديم ، الحزن ، السبي.

Summary :

The Jewish community was not a strange society in its customs, traditions, and rituals from the rest of the peoples and societies of the ancient Near East. The Jews lived among these societies and were influenced by their customs and traditions, especially societies with an authentic civilization such as the ancient Iraqi and Egyptian society. The Jews practiced special rituals and practices to show their grief, condolences, and mourning when a person was lost. dear, or when a disaster or calamity befalls them by wearing black, cutting their hair, or throwing dirt on their heads, and this we find recorded when we follow the texts of the Old Testament. The Old Testament was not satisfied with recording and documenting these practices, but rather it gave an explanation and a reason for those calamities and disasters that befell the Jewish community. This is the sins committed by the Jews themselves by turning away from the worship of God and participating in conspiracies against countries and peoples that are stronger than them, without the Jews having an interest in those conspiracies or the ability to face their consequences.

Keywords: Jews, Old Testament, grief, captivity.

المقدمة

يعد موضوع ظاهرة الحزن لدى اليهود من خلال العهد القديم من المواضيع المهمة لانه يسلط الضوء على هذه الظاهرة من الظواهر المهمة التي طغت في المجتمع اليهودي في تلك الفترة الزمنية ، ويشخص اهم المفردات التي عبرت عنها في الكتاب المقدس لدى اليهود .

وللوقوف على اسباب هذه الظاهرة التي ادت الى بروزها بهذا المستوى حتى اصبحت الظاهرة الغالبة على مجتمع اليهود والسمة الغالبة على النتاجات الادبية لهذا المجتمع فقد وقع الاختيار على هذه الظاهرة لتكون موضوع البحث والدراسة.

ومن اجل الاحاطة بهذا الموضوع فقد قسم الباحث الدراسة الى اربع مباحث رئيسية ، تناول المبحث الاول المفردات التي دلت على هذه الظاهرة في العهد القديم من قبيل مفردة الحزن والبكاء والنواح ، وعادات الحداد وممارساته عند اليهود حيث تصل هذه الظاهر الى الذروة .

اما المبحث الثاني فقد تناول اسباب هذه الظاهرة ومنها العامل السياسي اما المبحث الثالث فقد تناول العامل الاجتماعي فيما تناول المبحث الرابع العامل الاقتصادي .

اما اهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث فقد كان الكتاب المقدس في مقدمة هذه المصادر حيث تم تتبع مفردات الحزن واخواتها في اسفار هذا الكتاب ، ومن المصادر الاخرى التي اعتمد عليها الباحث كتاب (بنو اسرائيل) لمؤلفه محمد بيومي مهران والذي ركز على العامل الاجتماعي والعامل الاقتصادي ودوره في بروز هذه الظاهرة ، وكذلك كتاب (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة للاستاذ طه باقر والذي تناول التاريخ السياسي لليهود والكوارث التي تعرض لها هذا المجتمع في تلك الحقبة ، وكذلك اعتمد الباحث على اطروحة الدكتوراه للدكتور عامر حمزة حسين والمعنونة (اليهود في فلسطين خلال الالف الاول قبل الميلاد دراسة في الاحوال الاجتماعية) والتي ركزت على اسباب انهيار هذا المجتمع ومشاكله التي ادت الى هذا الانهيار .

المبحث الاول : مفردات الحزن وعادات الحداد عند اليهود

لم يكن الشعب العبراني مختلفا عن بقية شعوب الشرق الادنى القديم وخصوصا سكان بلاد الرافدين في شدة حزنه وبكاءه ومراثيه ، فقد تردد موضوع الحزن وبمفرداته المتعددة بصور كبيرة في الكتاب المقدس "العهد القديم"[1] فلا تجد سفرا من اسفاره الا وقد ورد فيه موضوع الحزن ولعدة مرات ليعبر عن الحالة العامة التي كان يعيشها الشعب اليهودي في ذلك الوقت ، ومن المعلوم ان الكثير من مقاطع الكتاب المقدس قد ادخلت اليه بطريقة او باخرى من خلال الكهنة والذين ضمنوا هذه المقاطع بعضا من نتاجات الشعب اليهودي نتيجة لتاثرهم بما يعيشونه من حياتهم اليومية .

فمن خلال الاطلاع على مفردات الحزن التي وردت في الكتاب المقدس يمكن للباحث التاريخي ان يحدد الاجواء العامة لدى هذا المجتمع ويطلع على الحياة اليومية للشعب اليهودي .

ولا نعجب اذا رأينا ان مفردة الحزن ومرادفاتها قد شغلت الحيز الاكبر من موضوعات الكتاب المقدس ، فقد وردت هذه المفردات ولعدة مرات ومن شخصيات متعددة سواء كانت هذه الشخصيات من الانبياء او من الملوك او من بقية الشخصيات المهمة في المجتمع اليهودي بل حتى من عامة الناس .

وفي الحقيقة ان مستوى الحزن الذي عاشه اليهود لم يكن بمستوى واحد بل كان على مستويات متعددة في شدته وتأثيره على الذي يشعر به ولذلك نجد ان التعبير عن هذا الحزن لم يكن بصورة واحدة فقد تعددت الاساليب التي يعبر فيها اليهودي عن حزنه فتراه يعبر تارة بمفردة الحزن واخرى بالبكاء وثالثة بالعويل او بالنحيب , كما انه لم تقتصر مظاهر الحزن على الالفاظ فقط بل هناك الكثير من الافعال التي عبر فيها الشعب اليهودي عن عميق حزنه مثل حث التراب على الرأس او تمزيق الملابس او حتى ارتداء الثياب ذات الالوان التي تعبر عن الحزن بحسب العرف اليهودي آنذاك.

وسنحاول في هذه الدراسة استعراض اهم مفردات الحزن التي وردت في الكتاب المقدس كما سنحاول تسليط الضوء على ابرز الاسباب التي سببت هذا الحزن وتقسيمها بحسب منشأها ولكن قبل البدأ بذكر مفردات الحزن نجد انه من المناسب ان نذكر هذا النص ليكون بداية ننطلق منها لبقية النصوص ، فقد ورد في سفر "مراثي ارميا" :-

(كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب كيف صارت كارملة العظيمة في الامم . السيدة في البلدان صارت تحت الجزية تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها . ليس لها معز من كل محبيها . كل اصحابها غدروا بها ، وصاروا لها اعداء . لقد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية . هي تسكن بين الامم . لا تجد رائحة قد ادركها كل طارديها بين الضيقات . طرق صهيون نائحة لعدم الاتين الى العيد . كل ابوابها خربة كهنتها يتنهدون . عذاراها مذللة وهي في مرارة ... الرب قد اذلها لأجل كثرة ذنوبها) (المقدس، سفر مراثي ارميا، 1984، الصفحات 1/1-5)

ومن الجدير بالذكر ان الشعب اليهودي كان هو السبب في هذا الحزن الذي خيم عليه وذلك اما من خلال عصيان الاله "يهوه" وعبادة غيره او عدم الالتزام بتعاليمه مما سبب غضب الاله فكانت النتيجة في كثير من الاحيان ان تسلط عليهم العقوبات ، او من

[1] – العهد القديم :-وهو عبارة عن اسفار متفرقة لكتاب مختلفين عاشوا في ازمنة مختلفة خلال مدة تزيد على الف عام ضمت هذه الاسفار في كتاب واحد تختلف في موضوعاتها واسلوبها ففيها التاريخ وفيها تراجم اشخاص وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكم وامثال ونبوءات ، وللكتاب هدف واحد يربط بين اجزائه المختلفة وهو الكشف عن الخلاص . ويقسم العهد القديم الى ثلاثة اقسام الاول يتألف من خمسة اسفار ويطلق عليها اسفار موسى الخمسة وكذلك تسمى التوراة والثاني الانبياء ويشمل (22) سفرا والثالث الكتابات والاسفار وتتألف من (12) سفرا ، وعلى هذا تكون مجموع اسفار العهد القديم (39) سفرا (كامل، 1968، صفحة 8).

خلال التآمر على الدول الكبرى مثل الاشوريين او البابليين والذين لم يكونوا على مستوى من القدرة التي تمكن اليهود من مواجهة هذه الامبراطوريات العظيمة او جيوشها المنظمة ، او من خلال الاعراف التي تعارف عليها اليهود والتي سببت الكثير من المظالم لعامة الناس في هذا المجتمع او من خلال الممارسات التي مارسها الكهنة او المتنفذون في المجتمع والتي تم من خلالها استغلال البسطاء من ابناء المجتمع مما ولد الشعور بالحزن لدى عامة الناس.

اولا : ابرز المفردات التي عبر بها اليهود عن حزنهم فهي :-

1-الحزن :

وردت مفردات الحزن في كثير من المواضع في العهد القديم ، فقد ورد في سفر مراثي ارميا وهو سفر يصور حالة اليهود بعد السبي الى بلاد الرافدين على يد الدولة البابلية الحديثة في عام 586 ق-م والذي عزا سببه في الكتاب المقدس الى غضب الرب على اليهود بسبب عصيانه اذ ورد فيه :

(اما اليكم يا جميع عابري الطريق ؟ تطلعوا وانظروا ان كان حزن مثل حزني الذي صنع بي ، الذي اذلني به الرب يوم حمو غضبه) (المقدس، سفر مراثي ارميا، 1984، صفحة 12/1).

كما ورد في نفس السفر (بار هو الرب لاني قد عصيت أمره . اسمعوا يا جميع الشعوب . وانظروا الى حزني . عذاراي وشباني ذهبوا الى السبي.) (المقدس، سفر مراثي ارميا، 1984، صفحة 18/1)

كما وردت هذه المفردة في سفر صموئيل الاول للتعبير عن الحزن الناتج عن الظلم الاجتماعي اذ ورد فيه : (فاجابت حنة وقالت " لا يا سيدي . اني امرأة حزينة الروح ولم اشرب خمرا ولا مسكرا بل اسكب نفسي امام الرب) (المقدس، سفر صموئيل الاول، 1984، الصفحات 1/ 1- 15)

2- البكاء :

تعد مفردة البكاء من اكثر المفردات التي وردت في الكتاب المقدس للدلالة على الحزن العميق الذي يشعر به من ذرف دموعه للتعبير عن شدة ما يشعر به من الم وحزن ، فقد ورد في سفر العدد ان اليهود قد بكوا وذرفوا دموعهم ولمدة ثلاثين يوما لشدة حزنهم على فقد نبيهم هارون ,

كما ورد في هذا السفر ان اليهود قد تذمروا على موسى وحملوه ما جرى عليهم من حادثة التيه في الصحراء اذ ورد : (فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى كل الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني اسرائيل وقال لهما "ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا متنا في هذا القفر ولماذا اتى بنا الرب الى هذه الارض) (المقدس، سفر العدد، 1984، الصفحات 14/ 1-2) .

كما وردت في سفر القضاة ان اليهود قد بكوا ندما على نكثهم للعهد مع الرب لانهم لم يطردوا الكنعانيين ولم يهدموا مذابحهم ومعابدهم كما امرهم الرب بل ومشاركتهم للكنعانيين في عبادة هذه الاوثان حيث ورد :-

(وكان لما تكلم ملاك الرب بهذا الكلام الى جميع بني اسرائيل ان الشعب رفعوا صوتكم وبكوا . فدعوا اسم ذلك المكان " بوكيم " وذبحوا هناك للرب) (المقدس، سفر القضاة، 1984، صفحة 2/4) .

كما ورد ايضا في سفر القضاة بسبب مقاطعة اليهود للباقين من سبط بنيامين بعد ان قاموا بقتل عدد كبير منهم ثم ندم بني اسرائيل على ما فعلوه بإخوانهم من قتل وحرق بالنار فكان البكاء حزنا عليهم وتوبة الى الرب اذ ورد بهذا الخصوص :

(وجاء الشعب الى بيت ايل واقاموا هناك الى المساء امام الله ، ورفعوا صوتهم وبكوا بكاء عظيما) (المقدس، سفر القضاة، 1984، صفحة 12/ 2) .

كما وردت مفردة البكاء في سفر راعوث بسبب القحط الذي اصاب الارض وما ترتب عليه من جوع فكان الفقراء هم اكثر المتضررين من هذا القحط وخصوصا الارامل من النساء فلم يكن لهن غير الرب يبكين عنده ويشين همهن حيث ورد :-

(وليعطيكما الرب ان تجدا راحة كل واحدة في بيت رجلها فقبلتهما ورفعن اصوتهن وبكين) (المقدس، سفر راعوث، 1984، صفحة 1/ 9) .

3- النواح :

اما مفردة النواح فهي لا تقل اهمية عن مفردة البكاء للتعبير عن مستوى عال من الحزن الراسخ في نفوس اليهود ، وبالتتبع للعهد القديم نجد النواح قد توزع على معظم اسفاره فلا تكاد تجد سفرا خاليا من هذه المفردة وسنذكر بعض مصاديق هذه المفردة في العهد

القديم ، فقد ورد في سفر ميخا ان على اليهود النواح والبكاء لما اقترفوه من اثم عظيم بسبب عبادة الاصنام وتركهم عبادة الرب الواحد فكان الالهام الذي نزل على ميخا هو تحذير شديد اللهجة من الرب لاورشليم والسامرة ان عليهما تحمل وزر ما اقترفتاه من اثم عبادة الاوثان فقد ورد بهذا الخصوص :-

(اسمعوا ايها الشعوب جميعكم . اصغي الي ايتها الارض وملؤها ....."فأجعل السامرة خربة في البرية مغارس الكروم والقي حجارتها الى الوادي واكشف اسسها وجميع تماثيلها المنحوتة تحطم وكل اعقارها تحرق بالنار, وجميع اصنامها اجعلها خرابا, لانها من عقر الزانية جمعتها والى عقر الزانية تعود" من اجل ذلك انوح واولول امشي حافيا وعريانا . اصنع نحيبا كبنات اوى ، ونوحا كرعال النعام لان جراحها عديمة الشفاء ، لانها قد اتت الى يهوذا ، وصلت الى باب شعبي الى اورشليم) (المقدس، سفر ميخا، 1984، الصفحات 1/ 1-8).

كما وردت هذه المفردة في سفر عاموس حيث اعمال اليهود الدنيئة في غش الناس البسطاء واستغلالهم واستعمال الموازين المغشوشة وبيع البضاعة التالفة للناس بعد ان عرضوا لهم بضاعة جيدة كل هذه الاعمال قد اغضبت الرب فارسل لهم الوعد والوعيد ومحذرا اياهم من عواقب اعمالهم ، اذ ورد بهذا الخصوص :-

(اسمعوا ايها المتهممون المساكين لكي تبيدو بائسي الارض ، قائلين " متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحا ، والسبت لنعرض حنطة؟ لنصغر الايفة ونكبر الشاقل ، ونعوج موازين الغش . لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ، ونبيع نفاية القمح " . قد اقسم الرب بفخر يعقوب " اني لن انسى الى الابد جميع اعمالهم . اليس من اجل هذا ترتعد الارض ، ينوح كل ساكن فيها وتطموا كلها كنهر ، وتفيض وتنضب كنيل مصر؟ ويكون في ذلك اليوم يقول السيد الرب اني اغيب الشمس في الظهر، واقتم الارض في يوم نور ، واحول اعيادكم نوحا وجميع اغانيكم مراثي ، واصعد على كل الاحقاء مسحا ، وعلى كل رأس قرعة ، واجعلها كمناحة الوحيد واخرها يوما مر) (المقدس، سفر عاموس، 1984، الصفحات 8/ 4-10) .

ونجد النوح كذلك في سفر زكريا وهو السفر الذي بدأ الرب فيه بتوجيه دعوة الى اليهود يدعوهم فيه الى ترك افعال اباءهم واجدادهم الشريرة والتي حاول الانبياء جاهدين ارجاعهم الى جادة الصواب دون جدوى اذ لم يدرك الاباء عواقب اعمالهم الا بعد فوات الاوان اما انتم الان فعليكم الرجوع الى الرب وهو القادر على تحقيق النصر لليهود على اعداءهم اما اذا لم ترجعوا فان البكاء والنواح والعويل سيكون نصيبكم فيكون الحداد عند كل عشائر اليهود فيقول الرب محذرا :-

(" وافيض على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والتضرعات ، فينظرون الي، الذي طعنوه ، وينوحون عليه كنائح على وحيد له ، ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بكره ، في ذلك اليوم يعظم النوح في اروشليم كنوح هدهد رمون في بقعة مجدون . وتنوح الارض عشائر على حدتها عشيرة بيت داود على حدتها ونساؤهم على حدتها) (المقدس، سفر زكريا، 1984، الصفحات 12/ 10 - 13).

وفي سفر صموئيل الاول نجد نواح اليهود بسبب الهزيمة التي تلقوها على يد الفلسطينيين اذ تكبدوا خسائر كبيرة في الارواح ولكن هذا ليس كل شيء فقد كانت الخسارة العظيمة والكبيرة هي خسارتهم لتابوت الرب الذي استحوذ عليه الاعداء فكان نواحهم على هذه الخسارة الكبيرة فنجد في هذا السفر :

(وضرب اهل بيت شمس لانهم نظروا الى تابوت الرب . وضرب من الشعب خمسين الف رجل وسبعين رجلا ، فناح الشعب لان الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة ..... ان المدة قد طالت وكانت عشرين سنة وناح كل بيت اسرائيل وراء الرب) (المقدس، سفر صموئيل الاول، 1984، صفحة 6/ 19).

ثانيا: عادات الحداد عند اليهود

يعتبر الحداد من ابرز مظاهر الحزن عند اليهود فهو عبارة عن ابراز ما يختلج النفس من حزن عميق نتيجة فقد شخص عزيز ، وقد عبر اليهود عن حدادهم وحزنهم بممارسات متعددة ومراسيم كثيرة ومتشعبة من قبيل تمزيق الثياب والقرع على الرأس وجز الشعر واقامة المناحة وهذا ما نجده في سفر عاموس:-

(واحول اعيادكم نوحا ، وجميع اغانيكم مراثي ، واصعد على كل الاحقاء مسحا ، وعلى كل راس قرعة ، واجعلها كمناحة الوحيد واخرها يوما مرا) (المقدس، سفر عاموس، 1984، صفحة 8 / 10).

كما انهم لم يكتفوا بهذه الممارسات المؤذية للنفس والبدن بل تعدوها الى مستوى اكبر من الايذاء فقد عمدوا الى جرح اجسادهم وجز شعورهم حتى تصبح رؤوسهم بحيث تبدوا الصلعة واضحة للعيان لتكون علامة على ما يشعر به الفاقد من حزن عميق على من فقده ، فقد ورد في سفر ميخا ما يفيد بتلك العادة :-

(كوني قرعاء وجزي من اجل بني نعمتك . وسعي قرعتك كالنسر ، لانهم قد انتفوا عنك) (المقدس، سفر ميخا، 1984، صفحة 1 / 16).

اما بالنسبة للنساء اللاتي يفقدن ازواجهن فان ممارسة طقوس الحزن تكون اوضح فأولى هذه الطقوس هي التزام الصمت عن الكلام لفترة معينة لا يتحدثن خلالها، اضافة الى ذلك كن يعفرن وجوههن بالتراب ويقمن بحث الرماد على رؤوسهن ((لوبون، 1970، صفحة 57)

كما ان ممارسة طقوس الحداد كانت تبدأ من حين فقد الشخص وتنتهي بفترة تختلف من شخص لآخر بحسب اهمية الفقيد ومركزه الديني والاجتماعي بل وحتى في الاعياد كانوا يذكرون موتاهم ويبكون عليهم الى درجة يصل مستوى الحزن درجة الافراط في التعبير عنه ((الغريب، 2010، صفحة 274).

كانت عملية دفن الميت ترافقها عادة ممارسات عن الحزن الشديد فبمجرد نقل الميت الى قبره تبدأ اصوات النحيب والبكاء تتصاعد من المكان ترافقها عملية ضرب للصدور وشق للثياب حتى يصل الامر بهم الى ان يغمروا انفسهم بالتراب ((فريزر، 1962، صفحة 177)

وفي الحقيقة فان هذه الممارسات المعبرة عن الحزن والحداد لم تكن مختصة بالمجتمع اليهودي خاصة بل تشترك بها معظم المجتمعات الشرقية ان لم تكن جميعها وهذا ما يشهد به العرف والوجدان ومن لم يصدق ذلك فليرجع الى وجدانه يجد صدق ما نقول.

والخلاصة ان المتتبع للعهد القديم يجد انه يزخر بمفردات الحزن والبكاء والنواح والعويل فلا تكاد تجد سفر او اصحاحا بل واحيانا مقطعا الا ووجدت فيه مفردة الحزن او احدى اخواتها وقد اثبته محرر التوراة وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على المستوى الكبير من الحزن والهم الذي عاشه الفرد اليهودي بشكل خاص والمجتمع اليهودي عموما فأثبتت فقرات التوراة هذا الحزن ليبقى شاهدا الى يومنا هذا على مستوى الشعور بهذا الحزن في ذلك الوقت.

ومن النتائج التي تخرج بها هذه الدراسة ان هذا الحزن لم يكن ظلما وقع على اليهود من قبل الاقوام الاخرى انما هو نتاج افعال اليهود انفسهم ونتيجة لاشتراكهم في المؤامرات الكبرى ضد دول هي اكبر بكثير من إمكانياتهم المتواضعة

المبحث الثاني اسباب ظاهرة الحزن

اولا : العامل السياسي

يعتبر العامل السياسي من اهم العوامل التي سببت بروز ظاهرة الحزن لدى اليهود وعملت على ترسيخ هذه الظاهرة لدى هذا الشعب نتيجة لما جرى عليه من نكبات متلاحقة فبين العذاب والمهانة التي تلقاها اليهود في مصر الى التيه وما تحملوه في الصحراء الى الحروب التي خاضوها مع الفلسطينيين الى السبي والاسر الذي تجرعوه على يد الاشوريين ومن بعدهم البابليين كل هذه الصعوبات التي مرت على اليهود جعلت من الحزن والعويل والبكاء والمراثي حالة يومية يعيشها اليهودي بكل ما تعنيه من قهر والم وشقاء . ولابد من التأكيد ان لليهود يد في ما جرى عليهم من مأسي اذ ان تأمرهم في كثير من الاحيان على الامبراطورية الاشورية ومن بعدها على البابلية مع عدم قدرتهم على مواجهة هذه الامبراطوريات العظيمة هو الذي سبب لهم هذا العذاب من السبي والاسر والذين حاول اليهود بكل الوسائل اظهار انهم قد ظلموا على يد حكام هذه الدول لكن الحقائق التاريخية تثبت عكس ذلك فهم من جر على انفسهم هذه الويلات.

تبدأ معاناة اليهود في مصر فبعد طرد الهكسوس من مصر دارت الدوائر على اليهود فقد شدد عليهم الخناق وخاصة في عهد الملك المصري (رعمسيس الثاني) فقد كانوا يقاسون في مصر فقد تنبه المصريون الى حقيقة ان الشعب العبري (اليهودي) سيكون لهم الغلبة في ارض مصر بسبب ازدياد اعدادهم فقاموا بتشغيلهم سخرة في بناء المدن والمعابد (مهران، 1999، صفحة 640) .

ويروي لنا سفر الخروج حال اليهود في مصر فنجد في هذا السفر :

(ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه " هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا . هلم نحتال عليهم لئلا ينموا ...." فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس..... فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل . كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا) (المقدس، سفر الخروج، 1984، الصفحات 1/ 8- 14) .

لم تقتصر معاناة اليهود في مصر على السخرة والعمل في البناء والحقول بل ان الملك المصري تنبه لكثرة اعداد اليهود وتوالدهم فاراد تقليل عددهم في مصر فابتدع حيلة انه رأى ان مولودا يهودا سيكون على يديه نهاية هذا الملك فقرر قتل جميع المواليد اليهود (مهران، 1999، صفحة 642) وبذلك يضمن بقاء اليهود اقلية في مصر فقد ورد بهذا الخصوص :-

(وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم احداهما شفرة واسم الاخرى فوعة وقال" حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي ان كان ابنا فاقتلاه وان كان بنتا فتحيا".) (المقدس، سفر الخروج، 1984، صفحة 1 / 15).

لم يستمر بقاء اليهود واستيطانهم في ارض طويلا بعد هذه الظروف الصعبة التي كانوا يعيشون ولذلك بدأت رحلتهم المشهورة للخروج من مصر بقيادة النبي موسى (عليه السلام) ولكن معاناة اليهود لم تنته بخروجهم فقد واجهوا ظروفا صعبة اخرى فقد ظل بنو اسرائيل يتجولون سنين كثيرة في طور سينا والجهات القريبة منه وهذا هو التيه المذكور اذ قاسى فيه الاسرائيليون مصاعب كثيرة (محروس، 1977، صفحة 224).

توجه اليهود بعد ذلك الى ارض كنعان حيث سيطر اليهود بعد دخولهم الى فلسطين على بعض المدن الكنعانية المسورة واولها "لخيش" و "عاي" و "اريحا" التي دمروها واحرقوها وقتلوا اهلها حتى الاطفال بأمر من الرب كما جاء في التوراة :

(وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة . وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .....واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها انما الفضة والذهب وانية والذهب وانية النحاس جعلوها في خزانة بيت الرب) (المقدس، سفر يشوع، 1984، صفحة 6 / 20)

كان الفلسطينيون[1] اشد اعداء الاسرائيليون الذين نازعوهم على استيطان الارض الجديدة والاستيلاء عليها ، فكانت الحرب بينهما سجالا والنصر تارة يكون في اغلب الاحيان من نصيب الفلسطينيين ، وقد تعرض اليهود لعدة هزائم على ايد الفلسطينيون والتي خلفت العديد من القتلى حتى انهم اضطروا الى عبادة ملوك الفلسطينيين مثل عبادتهم "عجلون" ملك مواب (زايد، 1966، صفحة 228) ، فقد ورد بهذا الخصوص :-

(وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب ، فشدد الرب عجلون ملك مواب على اسرائيل لانهم عملوا الشر في عيني الرب . فجمع اليه بني عمون وعماليق ،وسار وضرب اسرائيل , وامتلكوا مدينة النخل . فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة) (المقدس، سفر القضاة، 1984، صفحة 3 / 12) .

ان الازمات التي تعرض اليهود في صراعهم مع الاقوام المجاورة ولا سيما حروبهم مع الفلسطينيين وتقليدهم للاقوام المجاورة التي كانت يحكمها الملوك قد عملت على ظهور نظام الملكية عندهم (مهران، 1999، صفحة 644) ، فكان ذلك بتعيين اول ملك عليهم وهو "شاؤل" والذي يحدد عهده بداية تاريخ العبرانيين كقوم لهم كيانهم السياسي ، انتحر "شاؤل" بعد ان جرح وقتل اولاده الثلاثة في احدى المعارك مع الفلسطينيين الذين قطعوا رأسه وعلقوا جسمه وجسم ابنائه واودعوا درعه وسلاحه قربانا للالهة عشتار (باقر، 1973، صفحة 324) .

ومن الحكام المشهورين لدى اليهود الملك سليمان الذي خلف اباه داود على عرش المملكة , وقد بلغت المملكة في عهده اوج ازدهارها واشتهر سليمان باهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعدين والبناء والتعمير لكنه كان حاكما مستبدا وقاسيا ، وقد عاش عيشة فيها بذخ واسراف في ابهة القصر والبلاط على غرار ملوك مصر واشور (زايد، 1966، صفحة 375) , كذلك اسرف في بناء قصره الذي استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما ، كان لبذخ سليمان واسرته في حياتهم العامة والخاصة على غرار ملوك الشرق القديم وفرض العمل القسري على رعاياه اثر عظيم في تقهقر المملكة وانقسامها من بعده الى مملكتين هما مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة ومملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم (علي، 2002، صفحة 235) . فقد ورد بخصوص حياة سليمان :-

[1] – الفلسطينيون : هم جماعة من الاقوام الايجية التي فرت من وجه الهجرات اليونانية التي ازاحتهم من موطنهم (الاحمد، 1986، صفحة 266).

(كان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر الى ارض فلسطين والى تخوم مصر . كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل ايام حياته . وكان طعام سليمان لليوم الواحد: ثلاثين كر سميد وستين كر دقيق وعشرة ثيران مسمنة ، وعشرين ثورا من المراعي ومئة خروف ما عدا الايائل والضباء واليحامير والاوز المسمن) (المقدس، سفر الملوك الاول، 1984، صفحة 4 / 22)

ولا شك من وجود تضخيم في هذا الشأن اذ ان بلاط سليمان لم يكن بتلك السعة التي تستوجب ان تكون نفقاتها ليوم واحد بهذا الحجم الكبير .

وعندما توفي النبي سليمان اجتمع ممثلو القبائل اليهودية الاثني عشر لانتخاب ابنه البالغ ستة عشر عاما وهو "رحبعام" خليفة له كان كبار القوم يتوقعون تغيرا في سياسة الحكم عند هذا الحاكم الشاب ولذلك طلبوا منه تقليل الضرائب الفادحة المفروضة عليهم منذ عهد ابيه كان جوابه لهم جوابا طائشا وينم عن عدم فهم ودراية في تسير الامور فقد كان الجواب كما هو في العهد القديم :-

(لقد ادبكم ابي بالسياط اما انا فسأدبكم بالعقارب) (المقدس، سفر الملوك الاول، 1984، صفحة 12 / 11) , فكانت النتيجة ان رفضت عشر قبائل الاعتراف بخلافته واختارت بدلا عنه حاكما اخر فتكونت مملكتان باسم اسرائيل ويهوذا (مهران، 1999، صفحة 654) .

وهكذا نشأة المملكتان وهما تحملان بذور التنافس والتنافر بل وغالبا ما استحكم العداء فيما بينهما ونشبت الحرب اضافة الى تعرض المملكتان الى لضغوط الاشوريين وضرباتهم المهلكة اذ كان الاشوريون في اوج عظمتهم العسكرية في عهد الامبراطورية الاشورية الاولى (علي، 2002، صفحة 239) .

1-السبي اليهودي الاشوري

تعد حادثة السبي من اكثر الحوادث ايلاما في تاريخ اليهودي واشدها حزنا في نفوس اليهود وقد اخذت حادثة السبي حيزا كبيرا من النتاجات الادبية اليهودية التي صورت لنا اوضاع اليهود اثناء وبعد السبي فاظهرت حجم المظلومية التي تعرض لها الشعب اليهودي على يد حكام بلاد الرافدين من الاشوريين ومن البابليين ، ولكن هذه المظلومية المدعاة لا تصمد امام البحث والتحقيق التاريخ فقد اشترك اليهود في الصراع الدائر انذاك بين الدول العظمى التي كانت تتنافس على النفوذ والسيطرة على الطرق التجارية وخصوصا بين امبراطوريات بلاد الرافدين الاشورية والبابلية وبين الدولة المصرية وحلفاءها من الممالك السورية ، فلم يكن اليهود على يقفون موقف الحياد في هذه الحروب الطاحنة التي دارة بين هذه الدول العظمى بل اشتركوا وتأمروا مع الممالك السورية ومع حكام مصر ضد حكام بلاد الرافدين فنالهم جزء من العقوبات التي عادة ما تنال الطرف الخاسر في الحرب (باقر، 1973، صفحة 327) .

بدأت المشاركة اليهودية في هذا الصراع في عهد الملك اليهودي"عموري" وهو من اشهر ملوك مملكة اسرائيل وهومن اسس مدينة السامرة وكان من حلفاء مملكة دمشق وقد اشترك معه في موقعة القرقار الشهيرة عام 853 ق-م في عهد الملك الاشوري شلمنصر الثالث (سليم، 2000، صفحة 292).

كما انه حدث نزاع حاد في المملكة في زمنه وذلك بتأثير زوجته ابنة ملك صور وصيدا التي حملت زوجها على ادخال العبادة الوثنية الخاصة ببعل مما حرض عليه كهنة "يهوه" ، انتهى هذا النزاع بثورة قام بها احد قواده العسكريين يدعى "ياهو" والذي قضى على سلالة "عموري" وصار ملكا على مملكة اسرائيل (زايد، 1966، صفحة 373).

ومن الجدير بالذكر ان هذا الملك "ياهو" هو الذي ورد مصورا مع رسله في مسلة الملك الاشوري "شيلمانصر الثالث"[1]المشهورة بالمسلة السوداء حيث نجده ساجدا يقبل الارض امام الملك الاشوري ويقدم له الجزية (ساكز، 2008، صفحة 120).

لم يستمر اليهود في ولائهم للاشوريين فكانوا بانتظار الفرصة السانحة التي يستغلونها لنزع ثوب السيادة الاشورية عليهم وهذا ما حدث بالفعل فقد كان اخر ملك قوي من ملوك هذه المملكة يدعى "يربعام" الثاني (785-745ق-م) وقد صادف في عهده حدوث ضعف في الامبراطورية الاشورية وهي الفترة التي سبقت "تجلات بليزر" الثالث (747-727ق-م) وتاسيسه الامبراطورية الاشورية الثانية حيث استطاع ان يعيد الامبراطورية الاشورية الثانية بجملة من الحملات الحربية السريعة في سوريا فدخلت ضمن السيطرة

[1] – شيلمانصر الثالث :- تولى العرش بعد والده اشور ناصر بال ودام حكمه 35 عاما امتاز عهده بكثرة حملاته العسكرية حيث وصلت فتوحاته الى منابع دجلة والفرات وفي عهده حدثت معركة القرقار (محروس، 1977، صفحة 79) .

الاشورية مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا حيث اضطرتا الى دفع الجزية وقبول الخضوع للاشوريين من جديد (باقر، 1973، صفحة 328).

لم يستمر الملك الاسرائيلي "هوشع" بدفع الجزية للاشوريين فقد رفض دفع الجزية متحديا بذلك اعظم امبراطورية في الشرق ذلك الوقت ، لم يكن هذا السلوك المعادي للاشوريين سلوكا يهوديا صرفا نابعا من مصلحة اليهود بل كان بتحريض من ملك مصر ، فكانت النتيجة ان تعرضت مملكة اسرائيل لهجوم بقيادة الملك الاشوري "شيلمانصر" الخامس خليفة تجلاتبليزر الثالث فحاصر السامرة زهاء ثلاث سنوات واكمل فتحها "سرجون" الثاني في حدود (722–721ق–م) فأسر زهرة رجال المملكة (27228) شخصا واجلاهم اسرى الى بلاد الميديين وتحطمت اسرائيل واحل محل هؤلاء الاسرى المبعدين جماعات من السكان جلبهم من بلاد بابل وبلاد العرب واسكنهم بلاد السامرة (ساكز، 2008، صفحة 125) , وقد ورد في سفر الملوك الثاني وصف لخيانة "هوشع" وهو ما جر البلاء على بني اسرائيل حيث ورد :–

(في السنة الثانية عشر لاحاز ملك يهوذا ، ملك هوشع بن ايلة في السامرة على اسرائيل تسع سنين وعمل الشر في عيني الرب ، ولكن ليس كملوك اسرائيل الذين كانوا قبله ، وصعد عليه شلمناسر ملك اشور فصار له هوشع عبدا ودفع له الجزية . ووجد ملك اشور في هوشع خيانة لانه ارسل رسلا الى سوا ملك مصر ولم يؤدي الجزية الى الى ملك اشور بحسب كل سنة فقبض عليه ملك اشور واوثقه في السجن وصعد ملك اشور على كل الارض ، وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . وفي السنة التاسعة لهوشع اخذ ملك اشور السامرة ، وسبى اسرائيل الى اشور واسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي) (المقدس، سفر الملوك الثاني، 1984، الصفحات 17 / 1– 6).

عاشت مملكة الجنوب اي مملكة "يهوذا" من بعد زوال دولة اسرائيل بزهاء قرن وثلث من الزمن تعرضت فيه هذه الدويلة الى حوادث سياسية عديدة من بينها الغزو الذي تعرضت له على يد الفرعون المصري "ششونك" وهو شيشنق الوارد في الكتاب المقدس ومؤسس السلالة الثانية والعشرين وتوغل فيها وخرب مدنها وضرب اورشليم واخذ غنائم كثيرة ومن بين ذلك خزائن القصر والهيكل (حسن، 1992، صفحة 526).

وفي القرن الثامن قبل الميلاد استفادت يهوذا من توقف الفتوحات الاشورية والمصرية ولكن زوال مملكة اسرائيل من الوجود في عام (721ق–م) على يد الاشوريين عرض مملكة يهوذا الى هجمات الاشوريين وبصورة مباشرة اشد من ذي قبل وصارت تؤدي الجزية الى المملكة الاشورية في عهد الملك "حزقيا" بن حاز (721–693ق–م) فسلمت من هجمات الاشوريين ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا لان "حزقيا" تحدى السلطان الاشوري بتحريض من مصر وبتشجيع من النبي "اشعيا" فقوى نفسه في تحالفات مع الدويلات المجاورة وتهيأ لحصار طويل حتى انه حفر قناة طويلة طولها ما يقارب 1700 قدم في الجبل ليضمن الماء لعاصمته (باقر، 1973، صفحة 130).

وكان الملك الاشوري سرجون وابنه سنحاريب قد قاما بسلسلة حملات حربية على المدن الفنيقية والفلسطينية ، ووصل الدور الى اورشليم التي تعرضت لحصار قام به "سنحاريب"[1] عام(701)ق–م وترك حصارها لجزء من جيشه بعد ان استولى على اكثر المدن الفنيقية وتحرك لملاقاة الجيش المصري بقيادة الملك "طهراقا" . واخفق حصار سنحاريب لاورشليم بسبب الوباء الذي تفشى بين جنده (ساكز، 2008، صفحة 135) , الا ان التوراة تذكر ان ملاك الرب قد ضرب العدو فقد جاء بهذا الخصوص في الكتاب المقدس :–

(وكان في تلك الليلة ان ملاك الرب خرج وضرب من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفا . ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك اشور وذهب راجعا واقام في نينوى) (المقدس، سفر الملوك الثاني، 1984، صفحة 19 / 35).

ومع ان اورشليم لم تسقط الا ان الجيش الاشوري ترك البلاد خرابا ولم يستطع "حزقيا" الاحتفاظ بعرشه الا بعد ان دفع ما كان يترتب عليه من الجزية واعترافه بسيادة الاشوريين (باقر، 1973، صفحة 331) .

[1] – سنحاريب :– وهو ابن ووريث سرجون الثاني بالرغم من انه لم يكن ولده البكر ابتدأ عهده بثورات قام بها امراء الدويلات السورية بتحريض من ملك مصر لكنه تمكن من القضاء على المتمردين بعد ان قاد حملة في سنة حكمه الرابعة (رو، 1984، صفحة 428).

2- السبي البابلي لليهود

على الرغم من السبي الذي تعرض له اليهود على يد الاشوريين الا ان سبيا اخر اشد واقوى كان بانتظارهم على يد الدولة البابلية الحديثة (الكلدية)[1] ، فبعد ان سقطت الدولة الاشورية على يد الميديين وحلفاءهم البابليين عام 612ق- م (سليم، 2000، صفحة 198) ، تحول الصراع الى بلاد سوريا بين المصريين والبابليين وقد انحازت يهوذا الى جانب البابليين في بادئ الامر فان ملكها "يوشا" قاد جيشا لمحاربة الجيش المصري بقيادة الفرعون "نيخو" الذي حاول الاستيلاء على سوريا ومات مجروحا في موقعة "مجدو" وهذا ما اكده الكتاب المقدس حيث ورد :-

(صعد نيخو ملك مصر الى كركميش ليحار عند الفرات فخرج يوشا للقائه .....ولم يحول يوشا وجهه عنه بل تنكر لمقاتلته ، ولم يسمع لكلام نخو من فم الله بل جاء ليحارب في بقعة مجدو . واصاب الرماة الملك يوشا .....فمات في اورشليم ودفن في قبور ابائه . وكان كل يهوذا واورشليم ينوحون على يوشا ورثى ارميا يوشا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشا الى اليوم وجعلوها فريضة على اسرائيل ، وها هي مكتوبة في المراثي) (المقدس، سفر اخبار الايام الثاني، 1984، صفحة 35 / 25).

كان حزن اليهود ورثائهم لملكهم الفقيد مبررا خصوصا اذا عرفنا انه قام بإصلاحات دينية كما قام بالقضاء على الشعائر الوثنية الدخيلة (محمد، 1983، صفحة 75).

ظلت دويلة يهوذا بعد موت "يوشا" تتقلب في سياستها بين الخضوع الى الدولة البابلية الجديدة وبين تحالفها مع مصر ، ولسوء حظ ملكها الجديد ابن يوشا وهو "يوهوياقيم" (608-598 ق-م) انه اختار معارضة بابل والتحالف مع مصر في عهد "نيخو" الذي عينه على عرش يهوذا بعد عزل اخيه "يهواحاز" عن العرش، فكان اختيارا غير موفق بالمرة حيث دحر الملك البابلي الشهير "نبوخذ نصر" جيش "نيخو" في كركميش (605ق-م) وبذلك ثبت النفوذ البابلي في جميع بلاد سوريا (باقر، 1973، صفحة 332). وحانت لحظة الحساب مع دويلة يهوذا اذ وجه "نبوخذ نصر" جيشا على يهوذا فدخل العاصمة "اورشليم" عام (597ق-م) فأسر الملك المنشق "يهوياقيم" واخذه مقيدا بالسلاسل الى بابل (محمد، 1983، صفحة 75) , فقد ورد في الكتاب المقدس :-

(كان يهو ياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك ، وملك احدى عشر سنة في اورشليم وعمل الشر في عيني الرب الهه . عليه صعد نبوخذ نصر ملك بابل وقيده بسلاسل نحاس ليذهب به الى بابل) (المقدس، سفر اخبار الايام الثاني، 1984، صفحة 36 / 5).

لم يتخذ نبوخذ نصر قرارا مصيريا تجاه هذه الدويلة المارقة على حكمه وقرر اعطائها فرصة اخرى فنصب "يهوياكين" ابن "يهوياقيم" ملك على يهوذا على ان يكون حليفا لبابل ، لكن هذا الملك الجديد اخطأ في حساباته هو الاخر فبعد ثلاثة اشهر فقط من تسلمه العرش طمع بالثورة فجاء نبوخذ نصر بحملة يقودها بنفسه وحاصر اورشليم التي استسلمت بعد حصار قصير الامد فأخذ نبوخذ نصر الملك الشاب وزوجاته وموظفيه و(7000) من جنده ونحو(100) من الصناع وحملهم اسرى الى بابل ، وكان حزقيال (ذو الكفل) في المصادر العربية من بين رؤساء الدين المهمين الذين اخذوا اسرى ، وكان هذا هو السبي البابلي الاول (سليم، 2000، صفحة 292) .

وعين نبوخذ نصر ملكا جديدا على يهوذا من نفس العائلة الحاكمة وهو "صدقيا" احد ابناء يوشا وعم يهو ياكين , حكم هذا الملك برهة من الزمن وهو محافظ على ولائه لنبوخذ نصر ولكنه ارتكب نفس الخطأ الذي وقع فيه من سبقه على العرش فسولت له نفسه العصيان والاستقلال عن سلطة بابل . ولا يستبعد ان ذلك حصل بتحريض من الفرعون المصري فطفح الكيل عند نبوخذ نصر وغضب غضبا شديدا هذه المرة وارسل حملة قوية حاصرت اورشليم ، وارسل الفرعون المصري "هوفرا او افريز" نجدة لحليفه لكن ذلك لم يجد نفعا وبعد حصار دام سنة ونصف السنة سقطت اورشليم عام 586ق-م وحاول ملكها التعس الهرب ولكنه قبض عليه واخذ مقيدا الى الملك البابلي في "ربلة" على العاصي فذبح ابناؤه امام عينه ثم فقئت عيناه وقيد بالسلاسل حيث اخذ مع الاسرى الى بابل اما اورشليم فقد خربت ودمرت تدميرا كاملا وازيل الهيكل من الوجود واخذ اهم السكان اسرى ويقدر عددهم بخمسين الف شخص ولم

[1] - الدولة البابلية الكلدية:- وهي المملكة التي اسسها "نبوبو بلاصر وهو ارامي من قبيلة الكلدو تمكن من الجلوس على عرش بابل بالقوة بعد ان عجزت القوات الاشورية من الحاق الهزيمة به ومن ذلك اليوم بدأ حكم سلالة بابل الحادية عشر والاخيرة والتي يطلق عليها المملكة الكلدية او المملكة البابلية الحديثة (رو، 1984، صفحة 502).

يترك سوى قلة بائسة كما ان المدن المهمة في يهوذا قد خربت وظلت خرابا وهذا هو السبي البابلي المشهور (محمد، 1983، صفحة 83) حيث ورد في الكتاب المقدس وصف لهذه الحادثة :-

(فكانوا يهزؤون برسل الرب ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى او عذراء ، ولا على شيخ او اشيب ، بل دفع الجميع الى يده . وجميع انية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه اتى بها جميعا الى بابل . واحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم واحرقوا جميع قصورها بالنار ، واهلكوا جميع انيتها الثمينة . وسبي الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا) (المقدس، سفر اخبار الايام الثاني، 1984، الصفحات 36 / 16- 20).

والنتيجة التي نخرج بها ان العامل السياسي كان له الدور الاكبر والاثر الابرز في نمو ظاهرة الحزن وتفاقمها بصورة كبيرة نتيجة لما عانوه اليهود من حروب وتدمير وقتل وانتهاء بالأسر والسبي والتهجير نتيجة زجهم في حروب من قبل حكامهم لم يكن لهم فيها لا ناقة ولا جمل بل ولم يكونوا كفؤا لمواجهة هذه الدول العظمى وخاصة وقوفهم بوجه الاشوريين والبابليين بتحريض من فراعنة مصر، فكانت النتائج وخيمة جدا على اليهود فكانت احزانهم سرمدية بسبب ما جنته ايديهم وخير ما ينطبق عليهم من الامثال المثل العربي المأثور (وعلى نفسها جنت براقش).

المبحث الثالث : العامل الاجتماعي

يعد العامل الاجتماعي من اهم العوامل التي سببت الحزن لدى المجتمع اليهودي اذ ان ظاهرة الحزن يمكن تتبعها بشكل واضح لدى هذا المجتمع من خلال العديد من المشاكل المجتمعية لدى اليهود والتي عبرت عنها التوراة في العديد من المقاطع . وفي الحقيقة فان العامل الاجتماعي لم يكن سببا واحدا انما هو مجموعة من الاسباب التي يجمعها عنوان واحد هو انها مشاكل اجتماعية واهم هذه المشاكل هي مشكلة (التمايز الطبقي)

فعلى الرغم من ان المجتمع اليهودي لم يعرف التمايز الطبقي في بداياته الا ان هذا التمايز قد وجد في مراحل متأخرة من استقرار اليهود في فلسطين ، اذ قسم المجتمع الى عدة طبقات تتمايز بينها في الحقوق والواجبات ، فكانت الطبقات الاستقراطية المسيطرة على مراكز القرار في هذا المجتمع كانت تستأثر لنفسها بالثروات والمناصب وتمسك بزمام الامور بحيث ترفض كل محاولة لتغير واقع المجتمع المتردي خوفا على مصالحها ومكاسبها ، بل وتحاول دعم هذا المركز بكافة الوسائل ولو على حساب الطبقات الفقيرة والمعدمة اما الطبقات المتدنية في المجتمع اليهودي فكانت تعاني من هذا التمايز بسبب فقدان معظم حقوقها لصالح المتنفذين في المجتمع (مهران، 1999، صفحة 585).

كان العبيد اكثر ابناء المجتمع اليهودي تضررا من هذا الواقع فقد كانت نظرة اليهود الى العبد على انه مجرد ملك منقول لسيده ، وكان صاحب الدين بإمكانه ان يسترق اخاه اليهودي ان عجز عن دفع الدين في الموعد المحدد بل ان اباء الاسر كان باستطاعتهم بيع ابناءهم كرقيق كما كان الاب ان يملك حق الحياة والموت فيقتلهم اذا شاء (سفر الخروج :21/1-7)

وفي الوقت الذي كانت الطبقات الفقيرة تأن من ظروفها الصعبة كانت هناك فئات مستفيدة من هذا الوضع فقد ظهرة هناك طبقة ارستقراطية عسكرية اثرت كثيرا من غنائم الحروب او عن طريق الرعاية الملكية لذلك كانت ممارسة السلطة مصدر ربح للشيوخ والموظفين الملكيين (مهران، 1999، صفحة 585) .

لقد تشبع المجتمع اليهودي بالحضارة الكنعانية فزاد هذا من تقسيم المجتمع الى درجات وطبقات حتى اصبحت هناك طبقة مترفة تمتلك منازل للصيف واخرى للشتاء كما ان هناك منازل من عاج واخرى من ابنوس وقصور فخمة ، فقد ورد بهذا الخصوص في سفر عاموس **(اني يوم معاقبتي اسرائيل على ذنوبه اعاقب مذابح بيت ايل فنقطع قرون المذبح وتسقط الى الارض واضرب بيت الشتاء مع بيت الصيف . فتبيد بيوت العاج ، وتضمحل البيوت العظيمة يقول الرب)** (المقدس، سفر عاموس، 1984، صفحة 3 / 15).

ادى الحفاظ على هذه الحياة الجديدة المفاجئة الى ان يستغل الاغنياء الفقراء الذين كانوا يباعون كما تباع السائمة وفاء لحقوق الدائنين الذين لا يعرفون الرحمة والذين يمارسون الغش في التجارة والموازين الباطلة والسلع التافهة واخذ الهدايا والرشوة حتى تكدست الثروة في ايديهم بحيث اضطروا الى ان يخزنوا هذا الاموال الطائلة في سراديب الهيكل (مهران، 1999، صفحة 587).

اصبحت البنات والارامل الذين ليس لهم محام ضحية لأطماع المستغلين المنحرفين ولذلك يصرخ "عاموس" النبي صرخة مدوية **(رؤساء متمردون – وشركاء اللصوص كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا لا يقضون لليتيم ودعوى الارملة لا تصل اليهم)** (المقدس، سفر عاموس، 1984، صفحة 4 / 12).

لقد بلغة الاباحية والتحلل الاجتماعي حدا شنيعا ومخزيا ، وتجاهل القوم كل الشرائع الانسانية فتمددوا على ثياب مرهونة وشربوا الخمر في بيت الهتهم (مهران، 1999، صفحة 590)

والخلاصة : ان الاوضاع الاجتماعية وما تابعها من تمايز طبقي واستبداد في استعمال السلطة من قبل رؤساء الاسر والاباء كان ذوا اثر عظيم وخطير نتج عنه زيادة احزان الفقراء وعامة الناس وكثرة همومهم اذ اصبح المجتمع والذي كان في سابق العهود وحدة واحدة لا تمايز فيه اصبح الان عبارة طبقات مختلفة متمايزة الاغنياء ينعمون بالثروة والجاه والفقراء عليهم ان يعيشوا في ضنك العيش ويهم يأنون من جراحهم والتي بقيت تنزف من كثرة ما عانوه من ظلم الاغنياء.

المبحث الرابع : العامل الاقتصادي

يعد العامل الاقتصادي من العوامل المهمة التي اثرت في المجتمع اليهودي وسببت حزنا كبيرا بين ابناء هذا المجتمع ، وسنحاول الوقوف على ابرز الاسباب الاقتصادية وهي مسالة الربا والقروض الربوية

فبعد العودة من السبي البابلي وصل نحميا الى اورشليم بعد تجديد الحصون والاسوار اتجه الى بناء المجتمع اليهودي ، فكانت تلك الفترة من اكثر فترات الضغط الاقتصادي والمعاناة ومن ثم فقد اضطر كثير من افراد الطبقة الكادحة والفقيرة رغبة في الوفاء بالتزاماتهم الى رهن املاكهم الى من يملكون المال وتعرض المعسرون منهم الى مصادرة املاكهم وفاءا لديونهم بينما لجا المعدمون الى بيع ابناءهم كعبيد للحصول ثمن بيعهم سدادا لما عليهم من التزامات غير ان هذا كله فيه شبهة شرعية دينية عند اليهود (محروس، 1977، صفحة 142) .

وهناك امر اخر لجأ اليه القوم هذه الفترة مخالف للشريعة اليهودية الا وهو الربا الذي انتشر بين الطبقات اليهودية المختلفة ، وبالرغم من محاولات "نحميا" الاصلاحية من اجل اصلاح المجتمع الا ان الكهنة وقفوا بالضد من هذه الاصلاحات وذلك لانهم جمعوا في ايديهم جميع السلطات السياسية كما انهم كانوا هم الاقطاعيين الحقيقين وقد اشتركوا مع اخرين لم يكونوا اقل منهم ثراءا في توجيه الشعب وتكييف المجتمع الاسرائيلي (باقر، 1973، صفحة 672).

كانت اورشليم بعد العودة من الاسر البابلي جمهورية ثيوقراطية يحكمها الكهنة الشيوخ ثم انحصرت السلطة في ايديهم فامسى الكهنوت وسيلة للاثراء وغدا الكاهن "كوهين" اسرع الناس الى جمع المال ، وتحول الى استقراطي محافظ يعيش وسط الحرير والنعيم ويتشبث بالاوضاع القائمة ليحافظ على امتيازاته (مهران، 1999، صفحة 588).

كما عمل الكهنة الى الوقوف بوجه العقائد الجديدة الاخذة بالانتشار عن البعث بعد الموت وعن الثواب والعقاب وعن العالم الاخر ولعل السبب واضح للعيان فالكاهن الذي ينعم بخيرات الدنيا ولا يؤمن بالحياة الثانية لا يريد ان يتنازل عن هذه الامتيازات التي حصل عليها من خلال استغلال الدين الذي تلبس به ظاهرا فهو في ظاهره التدين والاستقامة وجوهره الشك والانحراف.

كان هؤلاء الكهنة الاستقراطيون يخالطون علية القوم من غير اليهود مما اثار السخط عند عامة اليهود الذين اعتقدوا ان اليهودي الحق هو الذي يعتزل غير الاطهار من الاجانب وبالتالي فقد تكونت جماعات من البرجوازية قليلة المال كثيرة التدين (مهران، 1999، صفحة 589).

وهكذا اصبح المجتمع الاسرائيلي اخر الامر يتكون من اغنياء زنادقة ظالمين وفقراء متدينين فقد ورد في انجيل لوقا **(ورفع عينيه الى تلاميذه وقال "طوباكم ايها المساكين ، لان لكم ملكوت الله . طوباكم ايها الجياع الان لانكم ستشبعون . طوباكم ايها الباكون الان لانكم ستضحكون")** (المقدس، انجيل لوقا، 1984، صفحة 6 / 20).

ومن الطبيعي ان ينجذب عامة الناس من اليهود الى البرجوازية الصغيرة وتأزم الموقف بين الفقراء ويمثلهم " الفرسيون" والاغنياء ويمثلهم "الصديقون" اي بين الكهنة الاغنياء والبرجوازية الصغيرة ، وفي النهاية تمكن البرجوازية من اثارة الشعب على الاغنياء (مهران، 1999، صفحة 590).

ولما هدم "تيتيوس" معبد اورشليم في عام 70م انتهى حكم الكهنة الاثرياء "الصديقيون"[1] وانتقلت الزعامة الى البرجوازية الصغيرة "الفريسيون"[2] وهي التي

سيطرت على اليهود كردة فعل على التمايز بين ابناء المجتمع واستغلال الدين من اجل جمع الثروة وانتهى الامر بالكهنة الصديقيون الى ان تحولوا الى خوارج (مهران، 1999، صفحة 592).

والخلاصة فان العامل الاقتصادي كان له دور فعال في تأصيل ظاهرة الحزن من خلال استأثر الطبقة الاستقراطية والمتنفذون والذين كان بعضهم من الكهنة او من المتزلفين اليهم من الكهنة بالاموال والسلطة واستغلالها لمصلحتهم الشخصية بينما بقي الفقراء يرزحون في بؤسهم وشقائهم فكان سلواهم الوحيد الدموع والبكاء والنواح.

قائمة المصادر والمراجع

سليم , احمد امين . (2000). *دراسات في تاريخ حضارة الشرق القديم*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الكتاب المقدس. (1984). *انجيل لوقا*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر اخبار الايام الثاني*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر الخروج*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر العدد*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر القضاة*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر الملوك الاول*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر الملوك الثاني*. نيو يورك: العالم.

_____. (1984). *سفر راعوث*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر زكريا*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر صموئيل الاول*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر عاموس*. نيو يورك: العالم الجديد.

ا_____. (1984). *سفر مراثي ارميا*. نيو يورك: دار العالم الجديد.

ا_____. (1984). *سفر ميخا*. نيو يورك: العالم الجديد.

_____. (1984). *سفر يشوع*. نيو يورك: العالم الجديد.

الاحمد , سامي سعيد . (1986). *تاريخ الشرق الادنى القديم*. بغداد: مطبعة الجامعة.

باقر , طه . (1973). *مقدمة في تاريخ الحضارات*. بغداد: مطبعة الحوادث.

حسن , سليم . (1992). *مصر القديمة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

رو , جورج. (1984). *العراق القديم*. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

زايد , عبد الحميد. (1966). *الشرق الخالد*. القاهرة: دار النهضة العربية.

ساكز , هاري. (2008). *قوة اشور*. دمشق: دار ارسلان .

[1] – الصديقيون :– وهي الفرقة اليهودية التي تنسب الى سلالة صادوق احد اكبر الكهنة في عهد داود ، كان الصديقيون ينتمون الى طبقة الكهنوت والطبقة الاستقراطية ولذلك ظلوا متعالين تعاليمهم وبعيدين عن الجماهير اليهودية ، ومن ابرز معتقداتهم انكارهم البعث والحياة الاخرى والحساب والجنة والنار اذ كانوا يرون ان جزاء الانسان يتم في الدنيا (الغريب، 2010، صفحة 350).

[2] – الفريسيون :– وهي احدى الفرق والطوائف اليهودية التي ظهرت ايام الهيكل الثاني ، وتعد هذه الفرقة الاوسع انتشارا بين اليهود والاكثر عددا ، من ابرز معتقداتها اعترافها بجميع اسفار العهد القديم والاحاديث الشفوية التي تنسب الى موسى وكذلك تعتقد بالبعث وقيامة الاموات والعالم الاخر (ظاظا، 1971، صفحة 258).

ظاظا , حسن. (1971). *الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه*. الاسكندرية: معهد البحوث والدراسات الفلسطينية.

علي , رمضان عبده . (2002). *تاريخ الشرق القديم وحضاراته*. القاهرة: دار نهضة الشرق.

الغريب , عامر حمزة . (2010). اليهود في فلسطين خلال الالف الاول قبل الميلاد . *اطروحة دكتوراه*. بغداد: جامعة بغداد _ كلية الاداب.

فريزر , جيمس. (1962). *الفلكلور في العهد القديم*. القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب.

كامل , مراد. (1968). *الكتب التاريخية في العهد القديم*. القاهرة: معهد الدراسات والبحوث العربية.

لوبون , غوستاف. (1970). *اليهود في تاريخ الحضارات القديمة* . القاهرة: بلا مط.

محروس , حلمي. (1977). *الشرق العربي القديم وحضاراته*. الاسكندرية: دار شباب الجامعة.

محمد , حياة ابراهيم. (1983). *نبوخذ نصر الثاني*. بغداد: المؤسسة العامة للاثار.

مهران , محمد بيومي . (1999). *بنو اسرائيل*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.